

مسيرة تعريب المناهج بالكليات العلمية في الجماهيرية

د. عبد الكريم أبو شويرب

موضوع تعريب المناهج في الجامعات العربية موضوع قديم حديث تراثي ومتجدد، ويبرز للمناقشة بين فترة وأخرى، وقد أشيع بحثاً ودراسة ومناقشة وعرض حلول من قبل العديد من الأساتذة المختصين كما نشرت حوله الأبحاث المتخصصة والعامّة على صفحات مجلات وصحف الإعلام العربي، وما أود عرضه هنا هو مسيرة هذا التعريب في الجماهيرية.

دوافع التعريب:

هناك حقيقة يجب إبرازها أولاً وقد ظهرت في السنوات الأخيرة. فبعد أن كان الدافع الأول للتعريب في الجامعات دافعاً قومياً وتمسكاً باللغة الأم وزيادة في الاعتزاز بها للتخلص من الهيمنة والتبعية الأجنبية، وتصدياً للغزو الثقافي والارتباط بلغة المستعمر، صار الآن الدافع الرئيسي - هو أن التعريب حاجة علمية وعملية، لقد ثبت بالتجربة والاختبارات والدراسة الميدانية على مجموعات من الطلاب أن درجة استيعاب وفهم وإبداع

الطالب لا تكون إلا بلغته الأصلية التي نشأ ونمت مواهبه ومداركه عليها، وإلا كان بطيئاً في الاستيعاب بسيطاً سطحياً في الفهم متخلفاً في الإبداع ضعيفاً في الإنتاج. والمحصلة هي ضعف المستوى العلمي وسطحية في الإدراك والمؤهلات والتحصيل، ولذا صار التعريب دافعاً علمياً حقيقة يجب مواجهتها وتطبيقها.

خطوات التعريب في الجماهيرية:

في سنة ١٩٥٦ أنشئت بطرابلس أول كلية للعلوم لا يتجاوز عدد طلاب هذه الدفعة خمسين طالباً وكانت لغة الدراسة هي الإنجليزية والآن وقد اكتملت فروع هذه الكلية وصار عدد طلبتها بالآلاف أصبحت اللغة العربية لغة التدريس بنسبة ٩٠٪ في كل المناهج وبذا كانت هذه الكلية رائدة في مجال تعريب المناهج العلمية، ولكن الطالب المتخرج منها له معرفة بالإنجليزية تكفيه لمتابعة دراسته العليا وتكفي لقراءة المجلات العلمية الإنجليزية بدرجة جيدة.

يبلغ عدد الجامعات حالياً بالجماهيرية سبع جامعات بكل فروعها الإنسانية والتطبيقية ومنها كليات الطب البشري والبيطري والأسنان والصيدلة وكليات العلوم والهندسة والزراعة.

وتنص لوائح وقوانين كل كلية على أن اللغة العربية هي لغة التدريس.

وتقول المادة رقم ٥ من القانون رقم ١ لسنة ١٩٩٢:

«اللغة العربية هي لغة التعليم بجامعات الجماهيرية العربية الليبية»

الشعبية الاشتراكية العظمى، ويجوز بعد موافقة اللجنة الشعبية للتعليم العالي

استخدام لغة أخرى في بعض التخصصات والدراسات كلما دعت الحاجة لذلك».

فبالنسبة لكليات العلوم والزراعة والبيطرة والهندسة فإن التدريس في معظم المناهج باللغة العربية منذ السنة الأولى إلى آخر السنوات مع حفظ الطالب للمصطلحات العلمية اللازمة وتعريبها وكذلك إتقان الإنجليزية في نهاية الدراسة.

أما بالنسبة لكليات العلوم الطبية أو ما يسمى إعدديات الطب فإن الدراسة في المواد المعروفة الكيمياء والنبات والحيوان والطبيعة والإحصاء والحاسوب فهي باللغة العربية في جميعها.

وأقوم بتدريس مادة «تاريخ الطب العربي» لطلبة إعدادي الطب البشري مع التركيز على إضافات الأطباء العرب في مسيرة العلم الحديث وكذلك جهودهم والمناهج التي كانوا يتبعونها في تعريب أو ترجمة المصطلحات الأجنبية.

لقد سألتنا عدة مرات طلبة الطب وكذلك أعضاء هيئة التدريس عن اللغة التي يفضلونها للتدريس فكان الرد هي اللغة العربية إذا توفر الكتاب والمعلم. ويوجد الآن بكل كلية من الجامعات المذكورة قسم باسم (قسم التعريب).

وهناك لجنة مكلفة بوضع خطوات ومتابعة التعريب بجميع الكليات، كما أن أية دورية تصدر من أي كلية تحتوي على مقالات بالعربية أو ملخص للبحث بالعربية إن كان مكتوباً بلغة أجنبية.

أما السنوات التالية في كليات العلوم الطبية أي ما بعد الإعداديات فإنها لا تزال باللغة الإنجليزية نظراً إلى أن الكتاب المنهجي وأيضاً المراجع بهذه اللغة.

محاولات فردية:

إن الاقتناع عام بين أعضاء هيئة التدريس أن اللغة العربية هي الأصل، وفي هذا المضمار وكمحاولات فردية تطوع العديد من أعضاء هيئة التدريس فقاموا بتأليف أو ترجمة بعض الكتب المنهجية وطبعت ونشرت وتباع بالمكتبات. وهذه جهود شخصية دون أي حافز أو مكافأة أو حتى إجازة زمنية خلال إعداد الكتاب والأمر مجرد مساهمة في مسيرة التعريب وكذلك لإثبات أن اللغة العربية قادرة على أداء مهمة المقرر الدراسي^(١).

وقد صدرت مجلة (طبيب الطفل العربي) من قسم الأطفال جامعة الفتح وهي تجمع أبحاثاً أصلية باللغتين العربية والإنجليزية.

ولا بد أن أبرز هنا محاولات فردية أيضاً من بعض أعضاء هيئة التدريس خلال المرحلة السريرية (الكلينيكية) أي السنوات الأخيرة من كلية الطب حيث يقوم بعض الأساتذة بشرح ظواهر المرض وأعراضه وطرق تشخيصه ومضاعفاته باللغة العربية خصوصاً خلال دورات التعليم قرب سرير المريض «Bedside Teaching» والجمل التالية مثال لشرح أستاذ حول مرض أحد الأطفال:

بعد شرح أعراض وعلامات وأسباب المرض نبدأ الآن موضوعاً آخر مهماً وهو ال Differential diagnosis^(٢) بين مرض داون

سيندروم^(٣)، وما شابهه من الأمراض وأهمها أسباب الHypotonia^(٤) والتخلف العقلي ومرض الكريتينييزم Cretinism^(٥)، وأيضاً الأكوندرو بلاسيا Achondroplasia^(٦)، وأنواع تشوهات الوجه الأخرى من أمراض ال Trisomies^(٧)، وطفرات الكروموزومات^(٨).

وهكذا كان الشرح بالعربية أما المصطلحات فقد أبقى عليها المدرس باللاتينية والإنجليزية لعدم معرفته ما يقابلها بالعربية، هذه الطريقة التي يستوعب بها الطالب الدرس ولكن عليه أن يرجع إلى الكتب المنهجية وهي باللغة الإنجليزية.

مشاكل التعريب:

لقد رجعت إلى عدد من الأبحاث حول هذا الموضوع مما قدمه الأساتذة الأجلاء المتخصصون في هذا الميدان أشير إلى أبحاث الأساتذة:

محمد كرد علي، أحمد عيسى، شاكر الفحام، إبراهيم السامرائي، إبراهيم حداد، قاسم سارة، عبد الكريم اليافي، محمد هيثم الخياط، جميل صليبا، شوقي ضيف، عبد العزيز بن عبد الله، شحادة الخوري .. وغيرهم مما لا يسمح المكان بذكرهم .

على أنه باختصار فإن مشاكل التعريب كما لخصتها الأبحاث السابقة تنحصر في الآتي:

١ - ندرة المراجع والصادر العربية.

٢ - ندرة المدرس الكفاء.

٣ - نقص المصطلحات واختلافها.

وهكذا نرى أن المحور الرئيسي الذي يدور حوله موضوع التعريب هو المدرس الكفاء. ومن المعروف أن معظم المدرسين الآن من المؤهلين في الدول الأجنبية وبذلك يكون من الصعب على المدرس نفسه التعود على المصطلح العربي وتلقيه للطلبة.

وإنه لَمِمَّا يحز في النفس أن أسرد تجربة إحدى كليات الطب الجديدة التي بدأت بالعربية ولكنها باءت بالفشل بعد بضع سنوات بسبب العراقيل المذكورة أعلاه، وهي تجربة كلية الطب بمدينة سبها إحدى المدن الكبيرة بالجنوب الليبي. وقد بدأت على أن تكون الدراسة كلها بالعربية وانتدب للتدريس بها أساتذة أكفاء في هذا المجال ولكن عند السنة الدراسية الثالثة اضطروا للعودة إلى بلدانهم وتغير التدريس إلى اللغة الإنجليزية.

كلمة أخيرة:

لقد مضى الزمن الذي سُمعت فيه كلمات أبي الريحان البيروني:

«هجو بالعربية خير لي من مدح بالفارسية».

اعتقاداً أن العربية لا تصلح إلا للأدب والشعر وتصوير عواطف الإنسان، لقد ثبت أن اللغة العربية قادرة على طرح مصطلحات تجاري العلم وتتابع حركته، لغة قابلة للتطويع والاشتقاق والنحت وتقبل اللواحق والزوائد وغيرها.

أحسن منهج هو الذي سلكه علماء العرب الأوائل في الترجمة والتعريب ووجب الاستفادة من تلك المصطلحات وإحيائها.

لم يبق هناك أي عذر لأعضاء هيئة التدريس بشأن المصطلح الطبي وذلك بعد الجهود التي تقوم بها مجامع اللغة العربية وندواتها وما طرحه من الجديد من المصطلحات.

لم يبق لديهم أي عذر بعد إصدار كتاب (المعجم الطبي الموحد).

لقد لقي هذا الكتاب اعتراضاً كبيراً من بعض الزملاء فبعضهم يقول إن به مصطلحات صعبة النطق أو صعبة الحفظ أو غير متداولة ولكنني دائماً من المدافعين عن صلاحية هذا الكتاب لأنه حصيلة اتفاق العديد من الخبراء في هذا المجال وهو صورة للاتحاد العربي على الأقل في الاتفاق على المصطلحات الطبية.

وعدا جهد هؤلاء الخبراء فالمعجم نتيجة العديد من الاجتماعات والمناقشات لأعضاء متخصصين من جامعة الدول العربية ومجلس وزراء الصحة العرب واتحاد الأطباء العرب والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. وقد نصحت عدة مجلات طبية في الجماهيرية بالاعتماد عليه والرجوع إليه عند الترجمة والتعريب والتأليف وهو الذي يُعوّل عليه في مجلة نقابة الأطباء بالجماهيرية.

هوامش

- ١ - كمثل لهذه الكتب أذكر:
- (١) أمراض النساء والولادة: د. محمد المحيشي، طرابلس ١٩٨٩
- (٢) مرض السكر وعلاجه: د. عثمان الكاديكي، بنغازي ١٩٨١
- (٣) علم الطفيليات: د. أبو بكر السويحلي، طرابلس ١٩٩٥
- (٤) صحة المجتمع: د. سالم الحضيري، بنغازي ١٩٨٧
- (٥) علم الأمراض: د. مصباح الزروق، طرابلس ١٩٩٠
- (٦) أمراض العيون: د. منصور بن عامر، بنغازي ١٩٩٢
- (٧) الأمراض المعدية: د. محمد معافة طرابلس ١٣٩٥ و.ر
- (٨) أمراض العظام: د. ساطع السراج، طرابلس ١٩٩٦
- (٩) الطب الشعبي في ليبيا: د. عبد الكريم أبو شويرب، طرابلس ١٩٨٩
- (١٠) البيولوجيا الطبية الليبية: د. عبد الكريم أبو شويرب، طرابلس ١٩٨٦.
- ٢ - Differential Diagnosis = التشخيص التفريقي.
- ٣ - Down's Syndrome = داون سيندروم أي متلازمة داون.
- ٤ - Hypotonia = نقص التوتر.
- ٥ - Cretinism = قصور الدرقية.
- ٦ - Achondroplasia = الودانة.
- ٧ - Trisomies = تثلاث صبغي.
- ٨ - Chromosomemutation = طفرات الكروموزومات.